مسجد الخطابية

مأدبا

يعد مسجد الخطابية من أهم المساجد التاريخية على أرض الأردن ويقع في قرية الخطابية -حاليا- التي تقع إلى الشمال الغربي من مدينة مادبا بحوالي ٣ كم. حيث يرجع تاريخ هذا المسجد إلى زمن الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي مر بهذه المنطقة وصلى فيها حينما جاء فاتحا لمدينة القدس، فمر بهذه المدينة التي تقع بمحاذاة بيت المقدس، وبينهما أول نقطة يمكن عبورها على نهر الأردن، فبني المسجد في المكان الذي صلى به الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❊ تاريخ المسجد:

كان أول من ذكر هذا الموقع وقام بزيارته، هو فريق الاستكشاف الفلسطيني الذي قام بمسح مواقع شرق الأردن عام ١٨٨١م، وذكر هذا الموقع باسم «كفير أبو سربوط» والمقصود بذلك القرية الصغيرة ذات العمود أو المسلة.

في عام ١٩٣٣م بدأت أول حفرية في الموقع فأظهرت أرضية المسجد بأبعاده الخارجية (١٩-١٧) مترا. ويظهر من معاينة المسجد ومخططه أنه قائم على أنقاض مسجد آخر أقدم منه، وذلك لوجود آثار خارج المسجد الشرقي، كما استخدمت بعض الأعمدة البيزنطية في بنائه، وجلبت من خارج الموقع من بقايا الكنائس القديمة التي هدمها الفرس على عهد كسرى الثاني حين غزوا بلاد الشام عام ٦١٤م، وعاثوا فيها تخريبا، وكذلك نتيجة الزلازل التي هدمت كثيرا من الأبنية القائمة، كما تم العثور على ثلاثة أعمدة في أماكنها الأصلية. ويبلغ ارتفاع كل منها متران، أما العمود الرابع فقد كان ملقى على الأرض.

❊ مسجد الخطابية في العصر الأموي:

من الظاهر أن هذا المسجد كان قائماً في العصر الأموي حيث تم العثور على قطع فخارية تعود إلى العهود الأموية والعباسية والأيوبية والمملوكية.

وكذلك أرضية المسجد مغطاة بسجادة من الفسيفساء الملونة والمزخرفة بالأشكال الهندسية والنباتية، كما وجدت بالجهة الجنوبية أرضية بيضاء على زخارف بأشكال ورود باللونين الأسود والأصفر، أما الجهة الجنوبية الشرقية فقد زخرفت بمثلثات متداخلة، يوجد في كل مثمن مربع بداخله زخرفة الصليب المعكوف ويحيط بالمربع أشكال سداسية، في كل منها متوازي أضلاع، وهذه الزخارف وجدت في مواقع أموية أخرى منها (خربة المفجر) في فلسطين، والقسطل في

الأردن، وأغلب الظن أنها تعود إلى الربع الأخير من القرن الثامن الميلادي.

كما ويتألف المسجد من بيت الصلاة مستطيل الشكل ينقسم بوساطة صفين من الأعمدة إلى ثلاثة أروقة يماثله في هذا بناء مسجد أم الوليد ومسجد قصر الحلابات، وقد تم البناء من الحجر الجيري على الوجهين الداخلي والخارجي، وبينهما ملاط (خليط من الكلس والرمل) يبلغ سمك الجدار ما بين (١,٣٥م-١,٩٥م).

وتبين أن المسجد محول من كنيسة سابقة، وقد حوّر تحويرا بسيطا ليتلاءم في الشكل مع نظام المساجد، حيث اغلقت فتحة المذبح، وغرفتي ذخائر القديسين والشهداء. ومن الأدلة الأخرى وجود محراب مجوف إضافة إلى وجود حجر يحمل إشارة الصليب.

وفي ضوء هذه الأسباب مجتمعة يتضح أن هذا المسجد تم إعادة بنائه في العصر الأموي حيث تم استخدام الحجارة الرومانية القديمة في الموقع، وقد كان قائماً في فترات تاريخية لاحقة؛ بدليل القطع الفخارية المتواجدة في الموقع.

أما بالنسبة للمحراب فيتوسط الجهة الجنوبية من المسجد، وهو يأخذ الشكل المجوف، وحفر في مستوى الجدار الجنوبي أي أن المحراب لا توجد فيه صفة البروز إلى خارج المسجد، وموقعه مقابل الباب الشمالي في منتصف حائط القبلة، وتبلغ فتحته (١,٥٥م) ويظهر للمشاهد أن المحراب كان قد غطي بطبقة من الجبص.

❊ أرضية المسجد:

أثناء عملية التنقيب في مسجد الخطابية، وبعد إزالة الطبقة الجبصية، ظهرت تحتها أرضية فسيفسائية ملونة، وبعد تتبع هذه الفسيفساء وجد أن معظمها يغطي القسم الجنوبي من بيت الصلاة أمام المحراب، وعلى طول جدار القبلة ومساحتها (١٤×١,٢٥م) وقطعة ثانية أصغر من

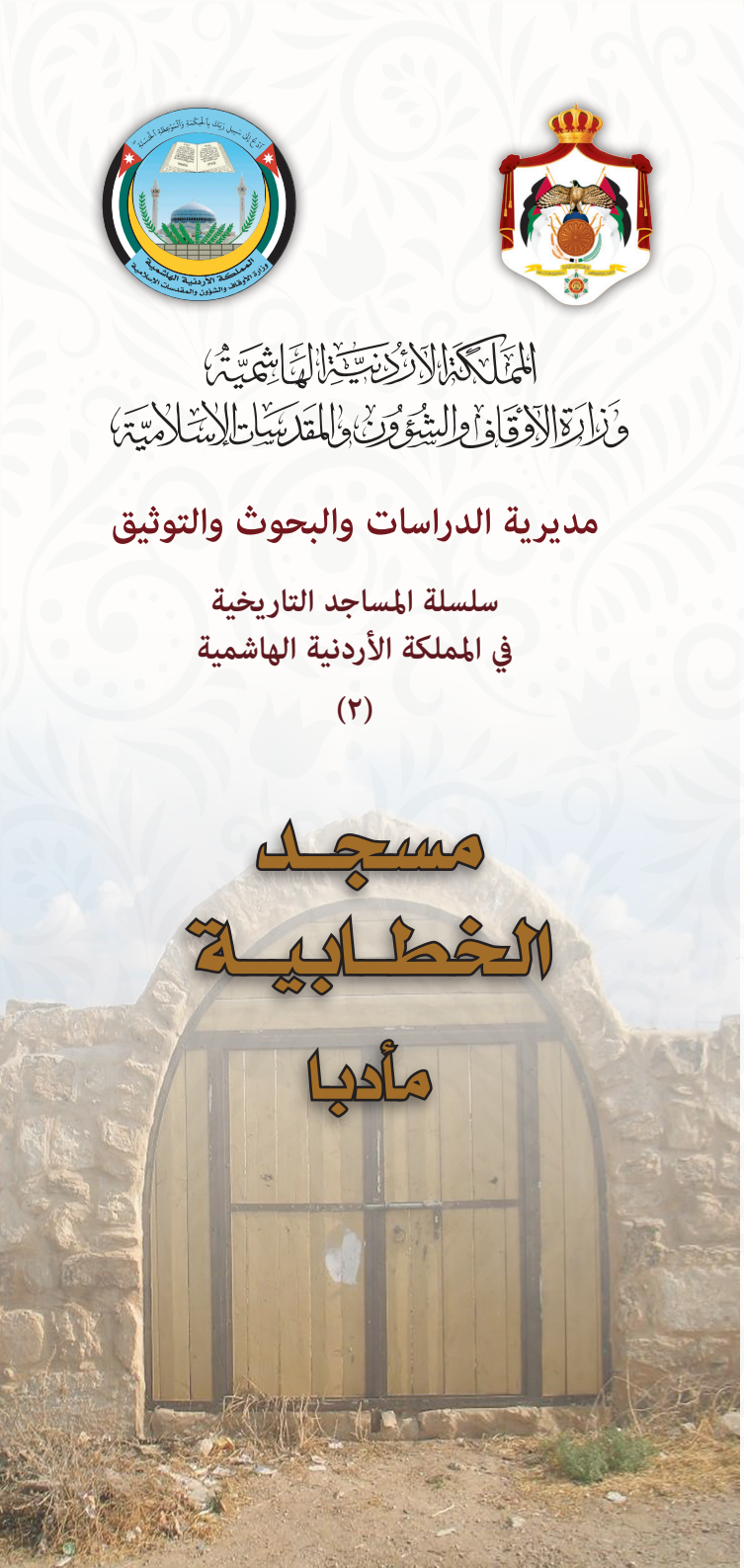

المملكة الأردنية الهاشمية
وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

مديرية الدراسات والبحوث والتوثيق

سلسلة المساجد التاريخية
في المملكة الأردنية الهاشمية
(٢)

مسجد الخطابية مأدبا

من الحجارة الصغيرة، ويصل عدد هذه المداميك في الوقت الحاضر إلى خمسة مداميك، تم تثبيتها بواسطة مادة الملاط الرابطة لهذه الحجارة، كما يظهر آثار الطلاء الداخلي لهذه الجدران، حيث يظهر بوضوح وجود طبقتين من الاحجار الجيرية والجبص.

وتبلغ أبعاد المسجد الداخلية في الوقت الحالي (١٤,١٠م × ٩,٢٠م)، كما يبلغ ارتفاع جدرانه من الجانب الغربي خمسة مداميك حجرية، ويبلغ ارتفاع الجانب الشرقي أربعة مداميك حجرية، والشمالي ثلاثة مداميك حجرية، أما بالنسبة للجدار الجنوبي فارتفاعه خمسة مداميك حجرية غطيت بثلاث طبقات من القصارة، ويمكن التعرف عليها من الجهة الغربية للمحراب، أما الجهة الشرقية من المحراب فما زالت القصارة تغطيها.

لقد تم بناء مسجد الخطابية القديم من نوعين من الحجارة المنتظمة، الأول بشكل مستطيل ويبلغ أبعاده (٦٠سم × ٣٥سم) والآخر بشكل مستطيل أصغر أبعاده تبلغ (٤٠سم × ٢٥سم) والحجارة مشغولة بشكل جيد، وبينها ملاط، ويوجد داخل المسجد أربعة أعمدة ثلاثة منها مرتكزة على قاعدة مربعة الشكل، وأحد الأعمدة وضع بشكل مقلوب، ويرتكز على تاج العمود بدلا من قاعدته، مما يعطينا دليل على أن هذا المسجد قد أعيد بناؤه في زمن ليس ببعيد ربما في زمن المماليك أو الأيوبيين.

كما عثر على بئر ماء بالقرب من الباب الشمالي بمحاذاة الجدار الشمالي الغربي، ويبلغ عمقه حوالي أربعة أمتار، وغطي بغطاء حجري مربع الشكل، ويبلغ طول ضلعه حوالي (٧٠سم).

والزائر يستطيع أن يتصور هذا الكلام عند رؤيته لهذا المسجد ويعيش استذكار واقع المسجد وتاريخه خلال الحقبة الاسلامية وما قبلها.

الفسيفساء وجدت في القسم الجنوبي الشمالي، وتبلغ مقاييسها (٣,٧١ × ١,١٥م) حيث أصابها بعض الخراب، وقد بيَّن أن أرضية بيت الصلاة كانت مغطاة بسجادة من الفسيفساء الملون، ومزخرفة بالأشكال الهندسية والنباتية، وهي تعد من النماذج النادرة في أرضيات المساجد في العصر الأموي باستثناء فسيفساء أرضية صحن المسجد الأموي بدمشق.

❊ سقف المسجد:

أما سقف المسجد الذي تساقط كله فيبدو أنه كان مسطحا ترفعه الأعمدة مباشرة وهو ما أطلق عليه نظام السقف القائم على الأعمدة.

❊ صحن المسجد:

يظهر أن صحن المسجد كان يقع في الجهة الشمالية من بيت الصلاة، غير أنه اختفى مع أعمال التجريف المجاور للمسجد أو الشوارع التي أحاطت بالبناء، ويظهر محراب آخر في المسجد من الجهة الغربية باتجاه القبلة أصغر من محراب المسجد، ولا تظهر آثار للجدران فيه، ويبدو أنه متأخر على بناء المجسد القديم، ومعظم المساحة التابعة لهذا المسجد الملحق الصغير قد اندثرت بمرور الشارع من الجهتين الشرقية والغربية، وقد يكون سابقا مصلى صيفيا.

❊ جدران المسجد:

ترتفع جدران المسجد قرابة ٢م عن الأرضية، وهي مبنية من الحجارة الكلسية المزيّنة، ومقاييس حجارة البناء تتراوح ما بين (٦٠سم × ٣٥سم و ٤٠سم × ٢٥سم) بنيت بمداميك يتكون كل منها من حجرين، داخلي وخارجي وبينهما حشوة